

شَرْحُ مَنْظُومَةٍ
مَحَبَّةِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
وَالْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لَهَا

لِنَاظِمِهَا

مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ ابْنِ طَوْقٍ الْمُرِّيِّ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (١).

أمّا بعد: فإنّ منزلة المحبة من أجلّ منازل العبوديّة، وهي التي فيها تنافس المتنافسون، وعليها تفانى المحبّون، وبروح نسيمها تروح العابدون، وإلى علمها شمر السّابقون؛ فاستنارت قلوبهم، ووجدوا من حلاوة الإيمان ولذة الطّاعة ما لا يُقدّر قدره، ولا يُحاط بوصفه.

وكلّما كانت المحبة أكمل كانت الحلاوة واللذّة والشّور والنّعيم أتمّ. قال بعض السّلف: (مساكين أهل الدّنيا؛ خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها) قيل: (وما أطيب ما فيها؟) قال: (محبة الله، والأنس به، والشّوق إلى لقائه، والتّنعّم بذكره وطاعته).

وقال آخر: (والله ما طابت الدّنيا إلّا بمحبّته وطاعته، ولا الجنّة إلّا برؤيته ومُشاهدته).

(١) أصل هذه الأوراق لقاء علمي نظّمه مركز النّبل لقراءة واستشراح «منظومة محبة الله جل جلاله والأسباب الجالبة لها» كان في ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر عام ١٤٤٧ هـ، وقد اطلع الشارح على هذه الأوراق قبل نشرها، فراجعها وأعاد صياغة مواضع يسيرة منها بما يناسب الكتاب المقروء. (رابط الشرح المسموع) (رابط آخر للشرح المسموع).

وإذا كانت المحبة بهذه المنزلة فحريٌّ بالعبد أن يستفرغ وسعه وطاقته في الوصول إليها والتحقق بصفات أهلها؛ لذا كانت هذه المدارس لمنظومة «محبة الله جل جلاله والأسباب الجالبة لها».

نسأل الله أن يبلغنا منازل المحبين الصادقين، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.



قال المصنف وفقه الله:

- ١- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ نَوَّرَا قُلُوبَ مَنْ لِحُبِّهِ قَدْ شَمَّرَا
- ٢- ثُمَّ الصَّلَاةُ بَعْدُ وَالسَّلَامُ عَلَى الَّذِي انْجَلَى بِهِ الظَّلَامُ
- ٣- أَكْرَمَ خَلْقِ اللَّهِ طُرًّا مَحْتَدَا نَفْسِي وَأُمِّي وَأَبِي لَهُ الْفِدَا
- ٤- هَذَا وَحُبُّ الْمَلِكِ الْفَتَّاحِ قُوتُ الْقُلُوبِ وَغِذَا الْأَرْوَاحِ
- ٥- وَأَهْلُهُ فِي أَطْيَبِ الْحَيَاةِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ
- ٦- تَاللَّهِ قَدْ فَازَ الْمُحِبُّ بِالشَّرَفِ وَحَازَ فِي الْأُخْرَى أَعَالِي الْغُرَفِ
- ٧- مَنْ لِي بِمَثَلِ سَيْرِهِ الْمُدَلَّلِ يَمْشِي رُويْدًا وَيَجِي فِي الْأَوَّلِ
- ٨- فَانْهَضْ أَخِي وَادْلِجْ وَأَسْجِرَا عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرَى



قال الشارح وفقه الله:

- ١- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ نَوَّرَا قُلُوبَ مَنْ لِحُبِّهِ قَدْ شَمَّرَا

ابتدأ بحمد الله الذي نور قلوب من شمر وجد في تحقيق محبته جل جلاله.

والتشهير في الأمر: السرعة فيه والخفة. ومنه: قيل: (شمر في العبادة) إذا اجتهد.

وقد أشعر في أول نظمه بمقصوده، وأن المنظومة في محبة الله تعالى؛ وذلك في قوله:

- ١- الَّذِي قَدْ نَوَّرَا قُلُوبَ مَنْ لِحُبِّهِ قَدْ شَمَّرَا



٢- ثُمَّ الصَّلَاةُ بَعْدُ وَالسَّلَامُ عَلَى الَّذِي انْجَلَى بِهِ الظَّلَامُ

ثُمَّ ثَنَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الَّذِي انْجَلَى): أَي انْكَشَفَ وَذَهَبَ (بِهِ الظَّلَامُ).

فَقَدْ كَانَ الْخَلْقُ فِي ظُلْمَةٍ عَظِيمَةٍ، لَا نُورَ يُهْتَدَى بِهِ فِي ظُلُمَاتِهَا، وَلَا عِلْمَ يُسْتَدَلُّ بِهَا فِي جَهَالَاتِهَا؛ حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَضَاءَ اللَّهُ بِهِ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَعَلَّمَ بِهِ مِنَ الْجَهَالَاتِ؛ فَأَصْبَحَ أَهْلُ الْإِسْتِقَامَةِ قَدْ وَضَحَ لَهُمُ الطَّرِيقُ، وَاسْتَنَارُوا بِهَذَا السِّرَاجِ الْمُنِيرِ؛ الَّذِي أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ

وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].



٣- أَكْرَمَ خَلَقَ اللَّهِ طُرًّا مَحْتِدًا نَفْسِي وَأُمِّي وَأَبِي لَهُ الْفِدَا

(طُرًّا): أي جميعًا.

(مَحْتِدًا): المَحْتِد: الأصل.

وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما في «صحيح مسلم» - مِنْ حَدِيثِ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»؛ فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ، وخيار الخيار؛ (نَفْسِي وَأُمِّي وَأَبِي لَهُ الْفِدَا).

والابتداء بِحَمْدِ اللَّهِ، والصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هو مِنْ آدَابِ التَّصْنِيفِ، والإجماعُ الْعَمَلِيُّ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ عَلَيْهِ.



ثم تخلص إلى مقصوده؛ فقال:

٤- هَذَا وَحُبُّ الْمَلِكِ الْفَتَّاحِ قُوتُ الْقُلُوبِ وَغِذَا الْأَرْوَاحِ

محبة الله تعالى هي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون بل كما يقول ابن القيم رحمه الله: ليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلا بها؛ فإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنف إذا فقد شممه، واللسان إذا فقد نطقه، بل فساد القلب إذا خلا من محبة فاطره وبارئه وإلهه الحق أعظم من فساد البدن إذا خلا من الروح، وهذا الأمر لا يُصدق به إلا من فيه حياة.



هـ - وَأَهْلُهُ فِي أَطْيَبِ الْحَيَاةِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ

محبة الله تعالى - كما يقول ابن القيم رحمه الله - هي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام.



٦- تَاللهِ قَدْ فَازَ الْمُحِبُّ بِالشَّرَفِ وَحَازَ فِي الْأُخْرَى أَعَالِي الْغُرَفِ

قال ابن القيم رحمه الله: (تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة؛ إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله يوم قَدَّرَ مقادير الخلائق - بمشيئته وحكمته البالغة - أن المرء مع مَنْ أَحَبَّ؛ فيا لها نعمةً على الْمُحِبِّينِ سابغة!) انتهى كلامه.

وَمِنَ الشَّرَفِ الَّذِي يَفُوزُ بِهِ الْمُحِبُّ الصَّادِقُ: ذَوْقُ حلاوة الإيمان ولذته وسروره.

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما في «الصَّحِيحِينَ» -: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» الحديث.

وَمِنْ ذَلِكَ: الفوز بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما في «مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد» -: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ حُرِّمَ عَلَى النَّارِ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِ النَّارُ: إِيْمَانٌ بِاللّٰهِ، وَحُبُّ اللهِ، وَأَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ فَيُحْرَقَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجَعَ فِي الْكُفْرِ».



٧- مَنْ لِي بِمِثْلِ سَيْرِهِ الْمُدَلَّلِ يَمْشِي رُوَيْدًا وَيَجِي فِي الْأَوَّلِ

قال ابن القيم رحمه الله عن المُحِبِّين: (تالله لقد سبق القومُ السُّعَاةَ وَهُمْ على ظهور
الفرُش نائمون، ولقد تقدّموا الرّكب بمراحل وَهُمْ في سَيْرِهِم واقفون).

ثمَّ أنشد قول الرَّاجِز:

مَنْ لِي بِمِثْلِ سَيْرِكَ الْمُدَلَّلِ تَمْشِي رُوَيْدًا وَتَجِي فِي الْأَوَّلِ



٨- فَاَنْهَضُ أُخَيَّ وَادْلَجَ وَأَسْحَرَ عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ الشَّرَى

يُقَالُ: (أَدْلَجَ) إِذَا سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَ(أَدْلَجَ) إِذَا سَارَ مِنْ آخِرِهِ، وَ(أَسْحَرَ) سَارَ فِي وَقْتِ السَّحَرِ أَوْ نَهَضَ لِيَسِيرَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَ(الشَّرَى): سَيْرٌ عَامَّةُ اللَّيْلِ.

يَقُولُ: إِذَا عَرَفْتَ مَا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ ثَمَرَاتٍ، وَأَنَّهَا قُوتُ الْقُلُوبِ وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ وَقُرَّةُ الْعْيُونِ، وَأَنَّهَا الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جَمَلَةِ الْأَمْوَاتِ، وَأَنَّ أَهْلَهَا هُمْ أَهْلُ الْفَوْزِ وَالشَّرَفِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنَّهَا تُورِثُ مِنَ اللَّذَّةِ وَالسَّعَادَةِ وَنَعِيمِ الْقَلْبِ وَسُرُورِ النَّفْسِ مَا لَا يُقَادَرُ قَدْرُهُ وَلَا يُحَاطَ بِوَصْفِهِ؛ فَلَا فَوْزَ فَوْقَ فَوْزِهِمْ، وَلَا سَعَادَةَ فَوْقَ سَعَادَتِهِمْ، وَلَا نَعِيمَ فَوْقَ نَعِيمِهِمْ، إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَحَرِيٌّ بِكَ أَنْ تَنْهَضَ بِهَمَّتِكَ، وَأَنْ تَجْتَهِدَ فِي طَلَبِ الْوَصُولِ إِلَى مَحْبُوبِكَ جَلَّ جَلَالُهُ، وَأَنْ تَوَاصَلَ بِمَسِيرِكَ إِلَيْهِ، وَأَنْ تَغْتَنِمَ الدَّلْجَةَ - وَهِيَ سَيْرُ اللَّيْلِ - حَتَّى تَحْمَدَ عِنْدَ الصَّبَاحِ سُرَاكَ.

وَتَمَارِ الْمَحَبَّةِ وَآثَارَهَا وَفَوَائِدَهَا وَعَوَائِدَهَا عَلَى الْمُحِبِّينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَا حَصْرَ لَهَا وَلَا عَدَّ. وَيَكْفِي الْمُحِبَّ: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَعَهُ؛ مُؤَيِّدًا وَحَافِظًا وَمُسَدِّدًا وَمُوفِقًا. وَفِي خِصْمٍ هَذِهِ الْفِتَنِ الْمَتَوَالِيَةِ وَالصَّوَارِفِ وَالْمُلْهِيَاتِ قَدْ تَضَعَفَ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ، وَتَضَعَفَ تَبَعًا لِذَلِكَ آثَارُ الْمَحَبَّةِ وَثَمَارُهَا؛ وَهَذَا يَتَطَلَّبُ مِنَ الْعَبْدِ عَوْدَةً صَادِقَةً بِنَفْسِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ بَاحِثًا عَنْ أَسْبَابِ تَحْصِيلِ مَحَبَّتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَالْأُمُورَ الْجَالِبَةَ لِمَحَبَّتِهِ فِي الْقَلْبِ؛ لِيَعُودَ لِلْقَلْبِ صِفَاؤُهُ وَنِقَاطُؤُهُ وَبِهَاطُؤُهُ وَضِيَاطُؤُهُ؛ وَذَلِكَ بِعِمَارَتِهِ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، لِذَا ذَكَرَ بِجَمَلَةٍ مِنَ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَجْلِبُ إِلَى الْقُلُوبِ مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى.



قال المصنف وفق الله:

- ٩- وَهَآكَ عَشْرَةٌ بِهَا تَرْقَى إِلَى
- ١٠- مِنْ دُرَرِ الْعَلَامَةِ ابْنِ الْقَيْمِ
- ١١- تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ أَعْظَمُ سَبَبِ
- ١٢- دَوَامِ ذِكْرِهِ بِكُلِّ حَالِ
- ١٣- إِيْثَارٍ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ عَلَى
- ١٤- شُهُودِ قَلْبِكَ جَلَالَ الرَّبِّ
- ١٥- وَخَلْوَةٍ وَقْتِ نُزُولِ اللَّهِ
- ١٦- وَالْبُعْدِ عَنْ كُلِّ الَّذِي يَحُولُ
- ١٧- طُوبَى لِعَبْدٍ مُخْبِتٍ لِرَبِّهِ
- ١٨- بَاحٍ بِمَا فِي صَدْرِهِ طَوَاهُ
- ١٩- يُذِيعُ دَمْعَ الْعَيْنِ مَا فِي رُوعِهِ
- ٢٠- كَمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدٍ بَائِسٍ
- ٢١- حَدَا بِكَ الْحَادِي فَقُلْ: لَبَّيْكََا
- ٢٢- يَا رَبِّي ارْزُقْنَا تَمَامَ حُبِّكََا
- ٢٣- وَاغْفِرْ لَنَا وَعَافِنَا مَوْلَانَا
- ٢٤- قَدْ انْتَهَى بِحَمْدِ رَبِّي نَظْمِي
- مَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلَا
- فِي سِلْكِ هَذَا الرَّجَزِ الْمُتَمِّمِ
- تَقَرُّبٍ بِالنَّفْلِ بَعْدَ مَا وَجِبَ
- بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْأَعْمَالِ
- مَا تَرَعَبُ النَّفْسُ بِهِ وَإِنْ حَلَا
- وَبِرَّهُ كَذَا انْكِسَارِ الْقَلْبِ
- صُحْبَةِ كُلِّ صَادِقٍ أَوَاهِ
- فَهَذِهِ عَشْرٌ بِهَا الْوُصُولُ
- قَدْ مَلَأَ الْحُبُّ شِعَابَ قَلْبِهِ
- إِلَى الَّذِي لَا يُرْتَجَى سِوَاهُ
- وَيَكْشِفُ الْمَكْنُونِ فِي ضُلُوعِهِ
- يَنْدُبُ سُعْدِي عِنْدَ رَسْمِ دَارِسِ
- إِنِّي إِلَهِي تَائِبٌ إِلَيْكََا
- وَهَبْ لَنَا مَا نَرْتَجِي مِنْ قُرْبِكََا
- فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي أُخْرَانَا
- وَبِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ خَتْمِي



قال الشارح وفقه الله:

٩- وَهَآكَ عَشْرَةٌ بِهَا تَرْقَى إِلَى مَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلَا

١٠- مِنْ دُرَرِ الْعَلَامَةِ ابْنِ الْقَيِّمِ فِي سِلْكِ هَذَا الرَّجَزِ الْمُتَمِّمِ

(هَآكَ): اسم فعل أمر؛ بمعنى (خذ)، و(الكاف): حرف خطاب.

و(الرَّجَز): هو البحر الذي عليه هذه المنظومة.

و(الْمُتَمِّم): المُنْزَخَرَفُ الْمُزَيَّن.

يقول: خذ عشرة أسباب ترقى بها إلى محبة الله سبحانه وتعالى؛ وهي مأخوذة من «مدارج السالكين» للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى رحمةً واسعة؛ فإنه عَقَدَ فصلاً في (منزلة المحبة)؛ قال فيه: (فصل: في الأسباب الجالبة للمحبة والمؤجبة لها؛ وهي عشرة) ثم ذكَّرها.



١١- تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ أَعْظَمُ سَبَبٍ تَقَرُّبٌ بِالنَّفْلِ بَعْدَ مَا وَجَبَ

(تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ أَعْظَمُ سَبَبٍ): أعظم الأسباب الجالبة لمحبة الله جل جلاله في القلب: العناية الصادقة بكتاب الله تعالى؛ تدبراً له، وتفهماً لمعانيه وما أُريد به؛ كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلْيَقْرَأْ فِي الْمَصْحَفِ). فالذي يقرأ كتاب الله ويتدبر آياته ويتأملها يجد فيه من العلوم والمعارف ما يملأ قلبه محبة لله وإيماناً به؛ ذلك أنه يجد في خطاب الله ملكاً؛ له المُلْكُ كُلُّهُ، وله الحمد كُلُّهُ، أَرْزَمَةُ الْأُمُورِ كُلُّهَا بيده، لا تخفى عليه خافيةٌ في أقطار مملكته، يدلُّ خلقه على ما فيه سعادتهم وفلاحهم ويرغبهم فيه، ويحذّرهم ممّا فيه هلاكهم، يتعرّف إليهم بأسمائهم وصفاتهم، ويتحبّب إليهم بنعمه وآلائه، ويذكّرهم بما أعدّ لهم مِنَ الْكَرَامَةِ إِنَّهُمْ أَطَاعُوهُ، ويُخبرهم بَصُنْعِهِ فِي أَوْلِيَائِهِ وَكَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ حَمِيدَةً، ويُثْنِي عَلَى أَوْلِيَائِهِ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ وَأَحْسَنِ أَوْصَافِهِمْ، يَقُولُ الْحَقُّ، وَيَهْدِي السَّبِيلَ، وَيَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَيَذَكِّرُ أَوْصَافَهَا وَحُسْنَهَا وَنَعِيمَهَا.

فلا يزال العبد يُشهد قلبه ما في القرآن من العلوم والمعارف التي تملأ قلبه محبةً لله تعالى وتعلقاً به.

وكيف لا وهو يجد في القرآن ملكاً عظيماً رحيماً جواداً جميلاً هذا شأنه، فكيف لا يحبه، ويُنافس في القرب منه، وينفق أنفاسه في التَّوَدُّدِ إليه؟! وكيف لا يكون أحبَّ إليه من كلِّ ما سواه؟! وكيف لا يصير حُبُّه وذكره والشَّوق إليه والأنس به قوَّةَ قلبه، وغذاءً روحه، وقُرَّةَ عينه؟! وبالجملة:

فلا شيء أنفع للقلب وأجلب لمحبة الله تعالى من قراءة القرآن بالتدبُّر والتفهُم؛ فإنه الَّذي يُورِث القلب محبة الله تعالى وسائر الأحوال التي بها حياة القلب. قال ابن القيم رحمه الله: (فلو عَلِمَ النَّاس ما في قراءة القرآن بالتدبُّر لاشتغلوا بها عن كلِّ ما سواها؛ فإذا قرأه بتفكُّرٍ حتَّى مرَّ بآيةٍ هو محتاجٌ إليها في شفاء قلبه كرَّرها ولو مئة مرَّة ولو ليلة).

قال: (فقراءة آية بتفكُّرٍ وتفهُمٍ خيرٌ من قراءة ختمه بغير تدبُّرٍ وتفهُمٍ، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن).

إلى أن قال رحمه الله: (فقراءة القرآن بالتفكُّر هي أصل صلاح القلب. ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: (لا تهذُّوا القرآن هذَّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدَّقل، وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب)، وقال أيضاً: (اقرأوا القرآن وحركوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السُّورة).

وقد بيَّن ابن القيم رحمه الله السَّبيل إلى الانتفاع بالقرآن؛ فقال في صدر كتاب «الفوائد»: (قاعدةٌ جليَّةٌ: إذا أردتَ الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه،

واحضر حضور مَنْ يخاطبه به مَنْ تكلم به سبحانه منه إليه؛ فَإِنَّهُ خطابٌ منه إليك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

[ق:٣٧].

ثم قال: (تَقَرُّبٌ بِالنَّفْلِ بَعْدَ مَا وَجَبَ): الثاني من الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى: التَّقَرُّبُ إليه سبحانه بالنوافل بعد الفرائض.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُرَغِّبُ في النَّوافِلِ، ويحثُّ على المحافظة عليها، ويُبَيِّنُ فضلها؛ يشمل ذلك: السُّنَنَ الرَّوَاتِبَ وغيرها من النَّوافِلِ؛ كصلاة الضُّحَى، وقيام الليل.

وليس خاصاً بـ (نوافل الصلاة)؛ بل يشمل: نوافل الصَّيام، وصدقة التَّطَوُّع، والتَّطَوُّعُ بالحجِّ والعمرة؛ فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ سبَبٌ جالِبٌ لمحبة العبد لربه.

فمَنْ أَرَادَ أَنْ يجد في قلبه محبة الله فليستكثر من نوافل العبادات؛ فَإِنَّهَا ترقى بالعبد إلى سماء محبته سبحانه وتعالى.

بل إِنَّ التَّقَرُّبَ إلى الله بالنوافل بعد الفرائض يُوصِلُ العبد إلى درجة المحبوبة بعد درجة المحبة.

يُوصِلُ العبد إلى درجة المحبوبة: أي أَنْ يحبه الله بعد درجة المحبة أي بعد درجة أَنْ يحبَّ هو الله.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»؛ أخرجه البخاري.



ثم قال:

١٢- دَوَامُ ذِكْرِهِ بِكُلِّ حَالٍ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْأَعْمَالِ

الثالث من الأسباب الجالبة لمحبة الله جل جلاله: دوام ذكره سبحانه وتعالى على كل حال بالقلب واللسان والأعمال.

نصيبك من محبة الله جل جلاله على قدر نصيبك من ذكره سبحانه. وذلك أن ذكر الله تعالى جلاء القلوب وصقلها؛ فكلما ازداد الذّاكر في ذكره استغراقاً ازداد لمذكوره محبةً وإلى لقائه اشتياًفاً.

ومحبة الله تعالى والإكثار من ذكره متلازمان؛ فمن أحبّ الله أكثر من ذكره ولا بدّ، ومن أكثر من ذكر الله سبحانه أورثه ذلك محبته ولا بدّ.

لذلك قرّن بينهما الشيخ ابن سعيدي رحمه الله في منظومته في «السّير إلى الله والدار الآخرة»؛ فقال:

وَهُمُ الَّذِينَ مَلَا إِلَهُ قُلُوبُهُمْ بِوُدَادِهِ وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ
وَهُمُ الَّذِينَ قَدَاكَثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ وَالْأَخْيَانِ
وقد أشار إلى ذلك في شرحه.

ولابن القيم رحمه الله عبارة جامعة في بيان هذا المعنى؛ قال رحمه الله في «فوائد الذّكر»: (التّاسعة) أي من فوائده: (أنّه يُورثه - أي الذّاكر - المحبّة الّتي هي روح الإسلام وقُطب رَحَى الدّين ومدار السّعادة والنّجاة، وقد جعل الله لكلّ شيء سبباً، وجعل سبب المحبّة: دوام الذّكر؛ فمن أراد أن ينال محبّة الله عز وجل فليلهج بذكره؛

فإن الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراتها الأقوم).

والآيات والأحاديث في الحث على الإكثار من ذكر الله وبيان فضائل ذلك كثيرة، وأقتصر هنا على الإشارة إلى كتاب جليل في هذا الباب؛ وهو كتاب «الوابل الصيب» لابن القيم رحمه الله.

قُطِبَ رَحَى هذا الكتاب وإنسان عينه: هو بيان فضل الذكر وعظيم أثره، وجليل مكانته، ورفيع مقامه، وجزيل الثواب المُعدُّ لأهله المتصفين به في الدنيا والآخرة. افتتحه بذكر طائفة طيبة من الأدلة الواردة في فضله وشرفه، ثم شرع يذكر فوائده؛ فذكر ثلاثاً وسبعين فائدة، ثم عَقَبَ بفصولٍ نافعة؛ تتعلّق بالذكر تقسيماً وتقعيداً، ثم خَتَمَ بالأذكار الموظفة التي لا ينبغي للعبد أن يُخِلَّ بها والتي يحتاجها العبد في جميع أحواله.

لذا ينبغي لنا أن نواظب على الأذكار الماثورة صباحاً ومساءً، وفي الأحوال المختلفة في اليوم واللييلة؛ فمن واظب عليها كُتِبَ إن شاء الله من الذّاكرين الله كثيراً؛ الذين أعدَّ الله لهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا، وفاز بمحبّة الله والأنس به ولذّة قُربه.

ولو لم نخرج من هذا الدرس إلا بهذه الفائدة أن يكون لك وردٌ عظيمٌ من ذكر الله، تحافظ عليه محافظتك على ورد القرآن، وتحرص عليه كما تحرص على الصلوات الخمس، وهذا شيءٌ إذا عَزِمَ لك عليه ووفَّقَكَ الله لتمامه فأوّل مَنْ يصيبه نفع ذلك: أنت، وسترى إن شاء الله بركة ذلك في نفسك وعلمك وعملك ودعوتك، وفي نشاط نفسك للطاعة وإقبالها على الخير.

قوله: (بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْأَعْمَالِ)

ذُكِرَ اللهُ بالقلب: تدخل فيه جميع أعمال القلوب؛ من محبته، وخوفه، ورجائه، ونحو ذلك من أعمال القلوب.

وذكره باللسان: هو كلُّ نطقٍ بما يُقَرَّبُ من الله تعالى من تسبيح، وتحميد، وتكبير، وتهليل، واستغفار، وتدخل في ذلك: أذكار الصَّباح والمساء، وأذكار النَّوم، ونحو ذلك من الأذكار.

وذكره بالجوارح: كلُّ فِعْلٍ يُقَرَّبُ إلى الله تعالى من صلاة، وحجٍّ، ونحو ذلك من أعمال.



١٣- إِيثَارُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ عَلَى مَا تَرَعِبُ النَّفْسُ بِهِ وَإِنْ حَلَا

الرَّابِعُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى: إِيثَارُ مَحَابَّةِ جَل وَعَلَا عَلَى مَحَابَّكَ عِنْدَ غَلَبَاتِ الْهَوَى، وَالتَّسَنُّمُ إِلَى مَحَابَّةِ وَإِنْ صَعُبَ الْمُرْتَقَى.

وعلامة إيثار مَحَابَّةِ جَل وَعَلَا شيئان:

أحدهما: أَنْ تَفْعَلَ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَلَوْ كَانَتْ نَفْسُكَ تَكْرَهُهُ.

وَالْآخَرُ: أَنْ تَتْرَكَ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَلَوْ كَانَتْ نَفْسُكَ تُحِبُّهُ.

ويصل العبد إلى هذا المقام العظيم إِذَا تَفَكَّرَ فِي أَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ لِلْهَوَى الْعَاجِلِ؛ وَإِنَّمَا خُلِقَ لِلْعَمَلِ لِلْآجِلِ، وَأَنْ يَسِيرَ بِفِكْرِهِ فِي عَوَاقِبِ الْهَوَى فَيَتَأَمَّلَ: كَمْ أَفَاتَتْ طَاعَةُ الْهَوَى مِنْ فَضِيلَةٍ، وَكَمْ أَوْقَعَتْ فِي رَذِيلَةٍ، وَكَمْ أَكَلَتْ مَنَعَتْ أَكَلَاتٍ، وَكَمْ مِنْ لَذَّةٍ فَوَّتَتْ لَذَاتٍ، وَكَمْ مِنْ شَهْوَةٍ كَسَرَتْ جَاهًا، وَنَكَّسَتْ رَأْسًا، وَقَبَّحَتْ ذِكْرًا، وَأَوْرَثَتْ ذَمًّا، وَأَعْقَبَتْ ذُلًّا، وَأَلْزَمَتْ عَارًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، غَيْرَ أَنَّ عَيْنَ صَاحِبِ الْهَوَى عَمِيَاءُ.

كَمْ مِنْ هَوَى أَوْرَثَ ذُلًّا مَا مُحِي	نَكَّسَ رَأْسًا وَرَمَى بِالْتَّرَحِ
كَمْ مِنْ هَوَى قَبَّحَ ذِكْرًا فِي الْوَرَى	أَوْقَدَ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا لَا يُرَى
كَمْ عَاقِلٍ أَرْخَى الزَّمَامَ لِلْهَوَى	حَتَّى إِذَا انْتَهَى بِهِ الدَّرَبُ هَوَى
كَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِ مُجُونًا	فَمَا أَرْعَوَى حَتَّى غَدَا جُنُونًا

وما ابتلى الله سبحانه عبده المؤمن بمحبة الشهوات والمعاصي وميل نفسه إليها إلا
ليسوقه بها إلى محبة ما هو أفضل منها وخير له وأنفع وأدوم، وليجاهد نفسه على تركها
له سبحانه؛ فتورثه تلك المجاهدة الوصول إلى محبته الأعلى.
فكلما نازعته نفسه إلى تلك الشهوات واشتدت محبته لها صرف تلك المحبة إلى
المحبوب الأعلى جل جلاله؛ فأورثه ذلك إيماناً وحُباً له سبحانه يجد حلاوته في قلبه.



١٤ - شُهُودُ قَلْبِكَ جَلَالَ الرَّبِّ وَبِرَّهُ كَذَا انْكِسَارُ الْقَلْبِ

الخامس من الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى: شهود قلبك جلال الله جل وعلا، وتقلبه في رياض معرفته سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته.

وكيف تحب من لا تعرف؟!

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة، وكلما ازدادت معرفة العبد بأسماء الله وصفاته وأكثر قلبه مطالعتها ازدادت محبته لله تعالى؛ بل كل اسم من أسمائه سبحانه وتعالى يستدعي محبة خاصة.

والعباد متفاوتون في محبتهم له جل جلاله بحسب تفاوتهم في معرفته تعالى والعلم به؛ فأعرفهم بالله أشدهم حبا له.

وهذه دعوة إلى العناية بهذا الباب العظيم - وهو (باب الأسماء والصفات) -؛ بدراسته، والتفقه فيه؛ فإن من عرف ربه بأسمائه وصفاته، وعرف جلال الله وكماله = أحبه حبا لا يماثله حب.

والسير إلى الله تعالى من طريق الأسماء والصفات - كما يقول ابن القيم رحمه الله - شأنه عجب، وفتحه عجب؛ صاحبه قد سبق السعاة وهو مستلق على فراشه، غير تعب، ولا مكدود، ولا مشتت عن وطنه، ولا مشرد عن سكنه.

قال: (وَبِرَّهُ): أي شهود قلبك بره سبحانه وتعالى.

السادس من الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى: شهود قلبك بر الرب جل جلاله، وآلاء وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة.

والقلوب مفطورة على محبة من أحسن إليها؛ فكيف بمن لا نرى الإحسان إلا منه
جلّ جلاله؟! ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]؛ فلا أحد أعظم إحساناً وكرماً
وجوداً منه سبحانه وتعالى؛ فإننا نتقلب في نعمه التي لا تعد ولا تحصى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا
نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ولو كلّف الإنسان بعد نعم الله سبحانه وتعالى وحصرها لاعترف بعجزه عن ذلك،
وهو عن شكرها أعجز.

والقرآن والسنة مليئان من ذكر نعم الله سبحانه وتعالى على عباده وإحسانه وآلائه
فإذا تأمل العبد ذلك انجذب قلبه إلى الله تعالى بالكليّة؛ فالله سبحانه هو الذي أوجدنا
من العدم بعد أن لم نكن شيئاً، وخلقنا في أحسن تقويم، وصوّرنا في أحسن صورة،
وحفظنا في المهد أطفالاً، وهباً لنا حنان الأبوين ورحمتهم، وربّانا، ودبّر أمورنا بأحسن
تدبير، وصاننا عن كلّ ما يشيننا، وسخر لنا كلّ ما في السمّوات وما في الأرض من بحار
وأنهار وسماء، وأباح لنا الطيّبات، وهدانا إلى الإسلام والسنة، وأكرمنا بنبيّنا محمّد
صلّى الله عليه وسلم؛ فتبارك الله، ما أرحمه، وما ألطفه، وما أبرّه، وما أكرمه!

ولا يزال العبد يشهد قلبه إحسان الله إليه، وبرّه به، وإنعامه، وإفضاله؛ حتّى يحبه حبّاً
لا يُدانيه حبّ، ويتعلّق به تعلّقاً فوق كلّ تعلّق.

قال: (كَذَا انْكِسَارُ الْقَلْبِ).

قال ابن القيم رحمه الله في ذكر الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى: (السّابع - وهو
من أعجبها - : انكسار القلب بكليّته بين يديه، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير
الأسماء والعبارات) انتهى كلامه.

مِنَ الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى: إظهار الافتقار له سبحانه، والانكسار بين يديه.

وعلى هذا قام أمر المحبة؛ أَنَّ مِنْ أعظم السُّبل لتحصيلها: إظهار المَسْكنة لله، والافتقار إليه، وانكسار القلب بكليته بين يديه.



١٥- وَخَلْوَةٌ وَقْتُ نُزُولِ اللَّهِ صُحْبَةُ كُلِّ صَادِقٍ أَوَّاهٍ

قال: (وَخَلْوَةٌ وَقْتُ نُزُولِ اللَّهِ).

الثامن من الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى: الخلوة به وقت النزول الإلهي؛ بمُنَاجاته وتلاوة كلامه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتَّوْبَة.

وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما في «الصَّحِيحِينَ» - مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ؛ فَيَقُولُ: (مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟)».

فالخلوة به سبحانه في الثلث الأخير من الليل والانطراح بين يديه ومُنَاجاته والتَّقَرُّبُ إليه بما يحبُّ مِنْ تِلَاوَةِ كَلَامِهِ، وَذِكْرِهِ، وَدُعَائِهِ، وَالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ، وَخَتَمَ ذَلِكَ بِكَثْرَةِ الْإِسْتِغْفَارِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ: هَذَا مِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ امْتِلَاءِ الْقَلْبِ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ. بل أصحاب قِيَامِ اللَّيْلِ هُمْ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

وَمِنَ اللَّطِيفِ: أَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ يَجْمَعُ جَمِيعَ سَبَابِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى السَّابِقَةِ؛ انْظُرْ إِلَيْهَا سَبِيًّا سَبِيًّا:

- فَأَهْلُ قِيَامِ اللَّيْلِ لَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ فَحَسَبَ؛ بَلْ يَقُومُونَ بِهِ مُتَدَبِّرِينَ خَاشِعِينَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَتَوَاطَرُ فِيهِ عَلَى الْقِرَاءَةِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ؛ ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦]؛ هَذَا قَوْلُهُ: (تَدَبَّرِ الْقُرْآنَ أَعْظَمُ سَبَبٌ).

- ثم قال: (تَقَرَّبْ بِالتَّغَلُّبِ بَعْدَ مَا وَجَبَ): أهل الليل يتقربون بأفضل نوافل الصلوة؛ قال صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ».

- ثم السبب الثالث: (دَوَامُ ذِكْرِهِ بِكُلِّ حَالٍ): أهل الليل قد تجافت قلوبهم عن المضاجع لذكر الله تعالى بأنواع الذكر في وقت غفلة الناس بالليل؛ وذلك أحرى أن يكونوا ذاكرين له سبحانه وتعالى في النهار وفي كل أحوالهم؛ بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم.

- السبب الرابع: (إِثَارُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ): أهل الليل قد آثروا محاب الله تعالى على شهواتهم؛ فلو شأؤوا لرقدوا كما رقد غيرهم لكنهم تركوا الفراش اللين الوثير لمحبتهم الأعظم جل جلاله.

- السبب الخامس: (شُهُودُ قَلْبِكَ جَلَالَ الرَّبِّ): هم في قيامهم بالليل وتدبرهم للقرآن يطالعون بقلوبهم جلال الله وأسماءه وصفاته، ويشهدون قلوبهم كماله وجماله سبحانه.

- السبب السادس: شهود القلب (بِرَّه) جلَّ جلاله وإحسانه: هم في قيامهم بالليل يتفكرون في قراءتهم القرآن في آلاء الله تعالى وبرِّه وإحسانه.

- السبب السابع: (كَذَا انْكِسَارُ الْقَلْبِ): أهل الليل قد قاموا مفتقرين إليه، منكسرة قلوبهم، والناس حولهم غافلون يغطون في نومهم.

فقد ذهب أهل الليل بجميع أسباب محبة الله تعالى السابقة.



ثم قال: (صُحْبَةُ كُلِّ صَادِقٍ أَوَّاهٌ).

(الأَوَّاه): الدَّعَاء، كثير التَضَرُّع، وأصله: صيغة مبالغة من الذي يُكثِر قول: (أَوَّه) وهو اسم فعل مضارع بمعنى (أتوجَّع).

التَّاسِع من الأسباب الجالبة لمحبة الله: صُحْبَةُ الْمُحِبِّين الصَّادِقِينَ، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم، والاستفادة من أعمالهم وأخلاقهم وآدابهم؛ فقد قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»؛ أخرجه أبو داود وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال سفيان الثَّوْرِيُّ: (ليس شيءٌ أبلغ في فساد رجلٍ وصلاجه من صاحب).

لذا ينبغي أن يُتَّقَى للصُّحْبَةِ: الأخيار؛ الَّذِينَ تُذَكَّرُ بِاللَّهِ صُحْبَتُهُمْ.

أَنْتَ فِي النَّاسِ تَقَاسُ بِمَنْ اخْتَرْتَ خَلِيلًا

فَاصْحَبِ الْأَخْيَارَ تَعْلُ وَتَنْلُ ذِكْرًا جَمِيلًا

صُحْبَةُ الْخَامِلِ تَكْسُو مَنْ يُؤَاخِيهِ خُمُولًا

قال مالك بن دينار للمغيرة بن حبيب: (يا مغيرة؛ انظر كل جليسٍ وصاحبٍ لا

تستفيد في دينك منه خيرًا؛ فانبذ عنك صُحْبَتَهُ).



١٦- وَالْبُعْدُ عَنْ كُلِّ الَّذِي يَحُولُ فَهَذِهِ عَشْرٌ بِهَا الْوُصُولُ

(وَالْبُعْدُ عَنْ كُلِّ الَّذِي يَحُولُ): العاشر من الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى: مبادعة

كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل، وأعظم ذلك: الذنوب.

قال ذو النون: (أما علمتم أنه من واصل الذنوب نُحِّي عن باب المحبوب).

وما أكثر الشواغل والمُلَهيات التي تُضَعِفُ الإيمان وتُمرِضُ القلوب؛ فمن أراد لقلبه

محبة صافية صادقة لله تعالى فليلزم ما سبق من الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى،

وليُبعد كل سبب يحول بينه وبين محبة الله جل جلاله.

قال: (فَهَذِهِ عَشْرٌ بِهَا الْوُصُولُ).

قال ابن القيم رحمه الله بعد أن ذَكَرَ الأسباب العشرة: (فمن هذه الأسباب العشرة

وصل المُحِبُّون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب).



١٧- طُوبَى لِعَبْدٍ مُخْبِتٍ لِرَبِّهِ قَدْ مَلَأَ الْحُبُّ شَغَافَ قَلْبِهِ

شَرَعَ هُنَا يَصِفُ حَالَ الْمُحِبِّ الصَّادِقِ؛ قَالَ:

(طُوبَى): أَي حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ.

(لِعَبْدٍ مُخْبِتٍ لِرَبِّهِ): خَاضِعٍ لِرَبِّهِ مُسْتَسْلِمٍ لَهُ.

(قَدْ مَلَأَ الْحُبُّ شَغَافَ قَلْبِهِ): الشَّغَافُ: غِلَافُ الْقَلْبِ وَغِشَاؤُهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ

شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠]: أَي بَلَغَ حُبُّهُ شَغَافَ قَلْبِهَا أَي غِلَافَهُ.



١٨- بَاحٍ بِمَا فِي صَدْرِهِ طَوَاهُ إِلَى الَّذِي لَا يُرْتَجَى سِوَاهُ

يُقَالُ: (بَاحٌ بِسِرِّهِ): إِذَا أَظْهَرَهُ.

(طَوَاهُ): سَتَرَهُ وَكَتَمَهُ.

(إِلَى الَّذِي لَا يُرْتَجَى سِوَاهُ) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أَيُّ أَثْبَتَهُ مَا فِي صَدْرِهِ فَلَمْ يَكْتُمْهُ إِلَّا ه.



١٩- يُذِيعُ دَمْعُ الْعَيْنِ مَا فِي رُوعِهِ وَيَكْشِفُ الْمَكْنُونِ فِي ضُلُوعِهِ

(يُذِيعُ): يُظْهِرُ وَيُفْشِي.

(دَمْعُ الْعَيْنِ مَا فِي رُوعِهِ): (الرُّوع) بِالضَّمِّ: الْقَلْبُ.

(وَيَكْشِفُ الْمَكْنُونِ): أَيِ الْمُسْتَوْر (فِي ضُلُوعِهِ).



٢٠- كَمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدٍ بَائِسٍ يَنْدُبُ سُعْدَى عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ

(كَمْ بَيْنَهُ): كم بين هذا الْمُحِبِّ الَّذِي أُخِبَتْ إِلَى رَبِّهِ وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ إِلَيْهِ.

(وَبَيْنَ عَبْدٍ بَائِسٍ): مُبْتَلًى.

و(البائس): قال سيبويه: مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُتَرَحَّمُ بِهَا؛ كـ "المسكين".

(يَنْدُبُ سُعْدَى): يَدْعُوهَا، أَوْ يَبْكِي عَلَيْهَا وَيُعَدِّدُ مُحَاسِنَهَا.

(عِنْدَ رَسْمٍ): رَسْمُ الدَّارِ: مَا كَانَ مِنْ أَثَارِهَا لاصِقًا بِالْأَرْضِ.

(دَارِسٍ): يُقَالُ: (دَرَسَ الرَّسْمُ) إِذَا عَفَا وَخَفِيَ أَثَارُهُ.



٢١- حَدَا بِكَ الْحَادِي فَقُلْ: لَيْتَكَ إِنِّي إِلَهِي تَائِبٌ إِلَيْكَ

(حَدَا بِكَ الْحَادِي): المقصود: دعاك الداعي؛ كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في

أبيات له:

فَحَيَّهَلَا إِنْ كُنْتَ ذَا هِمَّةٍ فَقَدْ حَدَا بِكَ حَادِي الشَّوْقِ فَاطُورِ الْمَرَا حِلَا
وَقُلْ لِمُنَادِي حُبِّهِمْ وَرِضَاهُمْ إِذَا مَا دَعَا: لَيْتَكَ أَلْفًا كَوَامِلَا



٢٢- يَا رَبِّي ارْزُقْنَا تَمَامَ حُبِّكَ وَهَبْ لَنَا مَا نَرْتَجِي مِنْ قُرْبِكَ

٢٣- وَاعْفِرْ لَنَا وَعَافِنَا مَوْلَانَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي آخِرَانَا

اللَّهُمَّ آمِينَ.

وفي هذا إشارة إلى سببٍ عظيمٍ من الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى؛ ينبغي ألا يُغفل: وهو الدعاء.

وقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم كما في «جامع الترمذي» وغيره: «أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ».



٢٤- قَدْ انْتَهَى بِحَمْدِ رَبِّي نَظْمِي وَبِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ خَتْمِي

هذا آخر مُدارسة منظومة «محبة الله جلّ وجلاله والأسباب الجالبة لها».

رزقنا الله جميعاً ذلك؛ إنّه تبارك وتعالى سميعٌ مجيبٌ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يَحُبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ فِي قُلُوبِنَا أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ

عَلَى الظَّمَا.

والحمد لله ربّ العالمين.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

